آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية
السنة السابعة عشرة، العدد الأوّل، ربيع و صيف ١٤٣٥ هـ .ق، صص ٩١-١١٧

شخصيّة الرّسول الأعظم (ص) في شعر السيّد محمّد حسين فضل الله

حسين مهتدي*

الملخص

العلامة محمّد حسين فضل الله شاعر الفقهاء وفقيه الشعراء، هو الّذي تحدّث في دواوينه عن موضوعاتٍ مختلفةٍ؛ ومنها هي شخصية الرّسول الأعظم، إنّ الشاعر لم يعتقد أنّ الرّسول يكون عبد الله فحسب، بل رأى فيه الداعية والمبلِّغ الّذي أراد ربط الأمّة بالله لا بالفرد. والأبعاد الّتي رآها الشاعر في هذه الشخصية الرساليّة العظيمة هي: رسول السلام، رسول الأخلاق، الرّسول الرّحمة، الرّسول القدوة، الرّسول الإنسان، وهذا المقال يحاول تحليل شخصية الرّسول الأعظم في أشعار السيّد وتأثير *القرآن الكريم* في أشعاره، ويتحدّث عن أثر الشخصية العظيمة لرسول الله (ص) في الواقع المُعاش. والشاعر يعتقد أنّ الأمّة والأجيال القادمة جديراً بهم أن يختاروا الرّسول كقدوةٍ في الكمال الإنساني، والشاعر حاول من خلال أشعاره أن يدعو الجيل نحو التواصل مع الله تعالى ورسوله الأعظم، وهو يعتقد أنّ أخوة الأنبياء تؤدّي إلى عقد الأخوّة بين أتباع الأنبياء والشاعر يقول: ليس لخلق الرّسول حدوداً بل خلقه عظيم يُقتَدَى به وهو يشكّل منهاجاً يجب الرجوع إليه في كلّ زمانٍ ومكانٍ. إنّنا نجد أنّ الشاعر قد لخّص كل الأبعاد الإنسانيّة في حياة الرّسول، الّذي عاش في الصحراء، لكنّه بسيرته وأخلاقه وسموّه الإنساني حوّل هذه الصحراء القاحلة إلى جنّة ينعم الشاعر بفيئها، وآلائها الدائمة. فقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي وستسير هذه المقالة على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث تقوم على استقراء الأبيات الّتي تدلّ على شخصية الرّسول

---

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بجامعة خليج فارس، بوشهر mohtadi@pgu.ac.ir
تاريخ الوصول: ١٣٩٢/٣/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٢/٥/٢٨

الأعظم ومن ثم تحليلها من الناحية الأدبية والبلاغية ودراستها ومراجعتها فى *القرآن الكريم*.

الكلمات الرئيسة: الشعر الديني، الرّسول الأعظم (ص)، محمّد حسين فضل الله.

١. المقدّمة

فن المدائح النبوية فن من فنون الأدب الإسلامي، وأثار في الناس نوازع الروح والعاطفة وضروب السحر والفنون، ومنحهم ألواناً من الثقافة الدينية والأدبية الصادرة عن قلوب مترعة بالحبّ والصدق، ملهمة بتلك الاقتباس الروحية الّتي سكبها نبيّ الإسلام في فؤاد الوجود، ولها دورٌ هامٌ في التراث الإسلامي ونرى آلافاً من القصائد حول شخصية الرّسول الأعظم في الشعر القديم والحديث، مع ذلك فإنّ الشعر الإسلامي الملتزم المعاصر يعاني كثيراً من الغربة و التجاهل، ومن الشعراء المعاصرين الّذي أنشد أشعاراً في مجال الشعر الإسلامي الملتزم هو العلامة السيد محمّد حسين فضل الله، فإنّ الكثير من قصائده يمكن أن تصنّف على أنّها من الشعر الديني، بما تتضمنه من موضوعاتٍ تخص عقيدة الشاعر وشعوره الديني، ويرد ذلك إلى كون الشاعر عالم دينٍ، ينتسب إلى بيئةٍ دينيةٍ سواء في النجف الأشرف أم في جبل عامل، وترعرع في أسرةٍ عريقةٍ بعلومها الدينية، ودرس في الحوزات العلمية واهتمّ بالعلوم الدينية لهذا نرى تأثيراً واضحاً للقرآن الكريم في أشعاره، ومن الآيات الّتي أثّرت في شعر الشاعر هي الآيات الّتي تدور حول شخصية الرّسول الأعظم، فلا بدّ قبل معالجة «شخصية الرّسول الأعظم في شعر السيد محمد حسين فضل الله» أن نقرأ هذه الشخصية العظيمة من خلال *القرآن الكريم* الّذي عدّه الشاعر أصدق سيرة وتأريخ، وهو رأى في السيرة القرآنية ما لم يره في غيرها. لذلك عندما نقرأ سيرة الرّسول الأعظم نرى الآيات المختلفة حول شخصية الرّسول ومنها: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» (الأحزاب: ٢١) وأيضاً من خلال الوصف القرآني لهذه شخصية العظيمة «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وَكفى بالله شهيدا» (الفتح: ٢٨) والرّسول هو قمة الأخلاق بشهادة *القرآن* «إنّك لعلى خلق عظيم» (القلم: ٤)، «وما أرسلناك

إلّا رحمة للعالمين» (الأنبياء: ١٠٧) ولتأثير هذه الآيات الكريمة يعالج الشاعر شخصية الرّسول الأعظم من شتى جوانبه بما أنّ الرّسول هو خليفة الله في الأرض أعطاه الله جميع الصفات الحميدة وظهرت هذه الصفات الكاملة في شخصية الرّسول الأعظم والشاعر من خلال أشعاره يتحدّث عن هذه الصفات، لذلك نجد في شعره الديني المعاني والموضوعات الّتي تدلّ على شخصية الرّسول الأعظم ومن أبرزها هي: رسول السلام، رسول الأخلاق، الرّسول الرحمة، الرّسول القدوة، الرّسول الإنسان، الرّسول وواقع العصر، واستخدم الشاعر الصور الفنية في أشعاره للإثراء من الموسيقى و التوكيد في المعنى. أما بخصوص المنهج المتبع، فقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي وستسير هذه المقالة على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث تقوم على استقراء الأبيات الّتي تدلّ على شخصية الرّسول الأعظم ومن ثم تحليلها من ناحيةٍ أدبيةٍ وبلاغيةٍ ودراستها ومراجعتها في *القرآن الكريم*.

٢. أسئلة البحث

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما هي الصّور الّتي قدّمها الشاعر لشخصية الرّسول الأعظم؟

٢. ما مدى تجلّي آيات *القرآن الكريم* في أشعار الشاعر؟

٣. إذا كانت أبيات الشاعر صدى للآيات القرآنية فما الجديد الّذي جاء به؟

٤. إذا كان لنا في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ، فما الأسوة الّتي رآها الشاعر في اتخاذ الرّسول رمزاً للحرية؟

٣. فرضيات البحث

١. نرى في أشعار الشاعر أثر الشخصية العظيمة لرسول الله (ص) في الواقع المُعاش؛

٢. شخصية رسول الله رمزٌ و قدوةٌ بين المسلمين؛

٣. إنّ النبي رمز الحرية الّذي لا بدّ أن يبقى هادياً للزمن؛

٤. إنّ الله تعالى لايفرّق بين أحد من رسله، فلهذا على أتباع الرسل الهداة، أن يعيشوا في واقعهم هذه الحقيقة، ولاسيّما أتباع عيسى (ع) والرّسول الأعظم (ص).

٤. ضرورة البحث

النبي (ص) هو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو الّذي يؤمن المسلمون برسالته وشخصيته وبشّر به عيسى (ع) «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (الصف: ٦) لهذا تكون هذه الشخصيّة سبباً للوحدة بين المسلمين أنفسهم من ناحية والمسيحيين من ناحية أخرى، وهو موضوع نحن بحاجةٍ ماسةٍ إليه في عصرنا الحاضر، والّذي قام بدعوة المسلمين والمسيحيين نحو هذه الوحدة هو الشاعر المعاصر والكاتب والفقيه والمرجع الديني العلامة السيّد محمّد حسين فضل‌الله الّذي أنشد أشعاراً حول هذه الشخصية العظيمة ونحن استخرجنا وتناولنا هذا الموضوع الّذي لم يقم أحد بدراسته في إيران حتى الآن.

٥. سوابق البحث

لم يكتب حتى الآن مقال أو كتاب عن شاعرية محمد حسين فضل الله باللغة الفارسية إلّا أنّنا وجدنا في العالم العربي كتابين حول شخصيته الأدبية وهما:

السيد محمد حسين فضل الله شاعراً، إسماعيل خليل أبو صالح، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٣ م.

الإتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله، علي رفعت مهدي، بيروت، دار الملاك، ٢٠٠٤ م. وهذا الكتاب فريد في نوعه وتركيزنا في هذه الدراسة على هذا الكتاب إلّا أنّه تناول موضوعاتٍ مختلفةً في كتابه ونحن اكتفينا بموضوع محدّد وهو شخصية الرّسول الأعظم للوصول إلى نتيجةٍ ملموسةٍ.

٦. لمحةٌ إلى حياة محمّد حسين فضل الله

«وُلِدَ سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله في النجف الأشرف في سنة ١٣٥٤ هجرية الموافق لسنة ١٩٣٥ ميلادية» (الخاقاني، ١٩٥٦: ٨/ ٣٠٦؛ الأميني، ١٩٦٤: ٢/ ٩٤٣) «من عائلة آل فضل الله الّتي تنتسب إلى الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهما السلام)» (مهدي، ٢٠٠٦: ٣٠؛ سرور، ١٩٩٢: ١٩)، «جاء سماحة العلّامة محمّد حسين فضل الله إلى لبنان سنة ١٩٥٢ م مع والده في زيارته الأولى لأقربائه وعمره كان حوالي ١٧ عاماً» (فضل الله، ٢٠٠٦: ٣٨)، «غادر النجف الأشرف للمرة الأخيرة بصحبة والده سنة ١٩٩٦ م متوجهاً إلى لبنان ليقيم في بيروت، في منطقة رأس النبعة» (ابوصالح، ٢٠٠٣: ٢٩). وانتقل إلى جوار رحمة الله سنة ٢٠١٠ م في مستشفى بهمن في بيروت.

انفتح على واقع الأمة الإسلامية باكراً، واطلع على الأجواء الأدبيّة والفكريّة والسياسيّة السائدة عن طريق الصحافة العربيّة، وشارك في النشاطات الأدبيّة والشعرية في الأوساط الثقافية في النجف الأشرف، «وقد بدأ نظم الشعر وعمره عشر سنوات. شارك في تأسيس الحركة الإسلامية في العراق» (مهدي، ٢٠٠٤: ٣٣)، تركت قراءاته للثقافات المعاصرة أثراً في إثراء شاعريته، وزوّدته بمخزون ثقافي أعانه في شعره، ومن الكتب الأدبية الحديثة الّتي كانت تصل إلى النجف ويقرأها الأدباء والشعراء ومنهم السيّد: «مؤلّفات «طه حسين»، و«زكي مبارك» و«العقاد» و«مصطفى صادق الرافعي» و«أحمد حسن الزيات» و«سيّد قطب» و«جبران خليل جبران» و«ميخائيل نعيمة» وغيرهم» (ابوصالح، ٢٠٠٣: ٥٨).

١،٦ مؤلفاته ونتاجه العلمي والفكري

لسماحة السيّد محمّد حسين فضل الله عشرات المؤلفات الإسلاميّة والفقهيّة والسياسيّة والشعريّة تربو على المئة، إنّ تعدّد مؤلفاته، واختلاف موضوعاتها يدلّ على تنوّع معارفه، وغنى ثقافته، ويكشف عن صفاء ذهني، ونهج تجديدي، كما يكشف عن إدارك بصير بشؤون الأمّة، وبما يشغل اهتمام المرأة والشباب، وعلاقة الدين بالحياة المعاصرة، ومن أبرزها:

«قضايانا على ضوء الإسلام»، «الحوار في *القرآن*»، «خطوات على طريق الإسلام»، «حديث عاشوراء»، «دنيا المرأة»، «من وحي *القرآن* في تفسير» ويقع في خمسة وعشرين جزءاً، «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي» ... بالإضافة إلى أربعة دواوين شعر: «يا ظلال الإسلام» رباعيات شعرية، «قصائد للإسلام والحياة»، «على شاطيء الوجدان»، «في دروب السبعين».

٢,٦ نظرة في الآراء والأفكار الأدبيّة للسيد محمد حسين فضل الله

إنّ للشاعر مفهوماً خاصاً للشعر، يقول فضل الله: «إنّ الشعر لابدّ أن يحمل قضايا العصر، ونحن لانؤمن بالشعر التقريري الخطابي، فالشعر إذا لم يبن المجتمع، في كلّ حاجات المجتمع الفنية، والإبداعية والفكرية والسياسية، فإنّه يكون بلامضمون، لأنّ الشعر إذا ابتعد عن مضمون الحياة، يصبح شيئاً لا معنى له» (فضل الله، ١٩٩٠: ١١، ١٢). وأيضاً يعتقد الشاعر أنّ الشعر العربي في التجارب الشعرية الأخيرة ابتعد عن أن يكون شعراً عربياً ... ويقول في معرض نقده لظاهرة الغموض لدى شعراء الحداثة: «إنّهم يحمّلون الكلمة ما لم تتحمّله في القواميس، والوجدان الشعبي أيضاً لذلك قلت إنّ اللغة العربية هي لغة الوضوح، والشعر العربي هو شعر الوضوح على ألا يتخلى عن الإبداع الفني» (أبو صالح، ٢٠٠٣: ٧٨).

إنّ محمّد حسين فضل الله كتب أشعاره في شكل الشعر التقليدي أو العمودي والشعر الحرّ ويقول الشاعر: «لقد عشتُ التجربة الشعرية بكلّ انفتاحها، فقد كنت أقرأ الشعر القديم كما كنت أقرأ الشعر الحديث. ثمّ عندما انطلقت التجربة الشعرية في تطوير شكل الشعر على ما يسمّى بالشعر الحرّ في الخمسينيّات ... كنت أتابع التجربة وقد شاركت في عدة تجارب في الشعر الحرّ لأنّني لا أؤمن بأنّ على الشعر يتجمّد في الأوزان الّتي جرّبها الشعراء الأقدمون، لأنّهم كانوا ينطلقون في مسألة الوزن من موسيقى معيّنةٍ عاشت في تجربتهم الشعريّة، ويمكن للشعراء الآخرين أن يستحدثوا أوزاناً جديدةً، ولكنّي أتصوّر أنّ من الضرورة أن تبقى للشعر موسيقاه» (مهدي، ٢٠٠٤: ٤٦). كما يتحدث السيد محمد حسين فضل الله عن فكرة الالتزام الشعري، ويقول: «إنّنا لانريد من الأديب أن يفتعل الفكرة الملتزمة ليكون ملتزماً فإنّ

ذلك ضدّ رسالة الأدب المرتكزة على العفوية والإبداع، بل نعتقد أنّ الرسالة حين تمتدّ في وعي الأديب وضميره وفكره، تحوّل الكيان الإنساني إلى الالتزام العفوي الّذي ينساب مع النفس بكلّ بساطة واندفاع» (فضل الله، ١٩٨٢: ١٠٥). «أنا لا أؤمن بمسألة أن تفرض على الشاعر التزاماً فالشعر مثل الماء والهواء لا تستطيع أن تعلّبه فالخصوصية سوف تحدّد للشاعر حركته ...» (فضل الله، ١٩٩٠: ١٠) ونفهم من أقواله هذه أنّ الالتزام ليس قيداً، الشاعر الملتزم الّذي ينشده السيد إذاً هو الّذي يعيش الواقع الإسلامي بكلّ حيثياته ويستخرج منه أدبه الرفيع بعد أن يعرضه على الفكر الإسلامي الّذي يحمله أو يتأثر به.

أنشد محمّد حسين فضل الله أشعاراً حول النبيّ (ص) في ديوانيه «قصائد للإسلام والحياة» و «يا ظلال الإسلام» ولكن أهمّ أشعاره حول شخصيّة النبيّ (ص) في ديوانه «قصائد للإسلام والحياة» والشاعر خصصه بفصل تحت عنوان «في رحاب رسول الله» وفي هذا الفصل أنشد قصيدتين حول ميزات وملامح الرّسول الأعظم وإحداهما تحت عنوان «يا رسول الحياة» وهي ١١٥بيتاً و الأخرى «من وحي الميلاد النبوي» وهي ١٠٠ بيتٍ. و في ديوانه «يا ظلال الإسلام» أبياتٌ متفرقةٌ حول معارك وغزوات النبيّ (ص)، و نحن في هذا المقال ركّزنا على هذين الديوانين لكي نستنتج نتيجةً ملموسةً، واستخرجنا منهما الموضوعات الّتي تدلّ على شخصية الرّسول الأعظم ومن أبرزها هي: رسول السلام، رسول الأخلاق، الرّسول الرحمة، الرّسول القدوة، الرّسول الإنسان، الرّسول وواقع العصر. ويأتي شرح الموضوعات شرحاً وافياً فيما يلي:

٧. دراسة شخصية الرسول الأعظم (ص) من خلال أشعار الشاعر

١,٧ رسول الأخلاق

أيّ خصالٍ هو أعظم من الخُلُق العظيم! والّذي كان *القرآن* مربّيه فهل سيكون خلقه غير خلق *القرآن*؟ قال الله تعالى بالنسبة إلى خلق الرّسول (ص): «وإنّك لعلى خلق عظيم» (القلم: ٤) وأيضاً روي عن الرّسول (ص) «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» (طبرسي،

١٣٧٢: ١٠/ ٥٠٠) عندما يدرس الشاعر سيرة الرّسول (ص) في *القرآن* يجد في شخصيته قمة الأخلاق ودوحة الإحترام. الرّسول في جانب من جوانب شخصيته يمثّل السلام، وموعد السلم، وفي جانب آخر يمثّل قمة الأخلاق، بكل امتداداتها الروحيّة، فالرّسول صورةٌ مفردةٌ لا مثيل لها في الكمال الإنساني المطلق، وظاهرة الأخلاق فطرةٌ فُطِر عليها فيقول الشاعر:

يا رسول الأخلاقِ ... تمتدُّ في الرّوحِ كما امتدَّ بالشُّعاعِ النّهارِ
يتمنَّى أن يَغمُرَ الكونَ، كلَّ الكَونِ، لطفٌ مِنَ الضُّحى موّارُ
ورخاءٌ ترتاحُ في ظِلِّهِ الدّنيا وتجري على اسمه الأنهارُ
وسماحٌ يفيض بالحبّ والنعمى وتهفو ـ لصفوه ـ الأسحارُ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٥).

يستهلّ الشاعر الأبيات بحرف النداء (يا) والمنادى هو الرّسول الّذي يكتسب بالإضافة إلى جانب كونه رسولاً، هويةً جديدةً هي (رسول الأخلاق) الّذي صار بعداً شمولياً في النفس والكون، بواسطة الفعل المضارع (تمتدّ) العائد إلى الرّسول، ووجهة الامتداد هي الروح الإنسانية. «يقول الشاعر أنّ خُلُقَ الرّسول (ص) ينتشر في كافة أرجاء العالم كما امتدّ النهارُ بالشعاع، ولهذا النهار رجاء وأمنية، و يتمنّى أنْ يشمل الكون كما شملت رسالة الرّسول العالمين، ولكن بِمَ يغمر؟ يغمر الكونَ لطفُ الضحى الّذي يمور في الكون وصولاً إلى الطمأنينة والرخاء الّذي تستريح فيه الدنيا، الّتي يمنحها الشاعر هوية الإنسان المتعب المثقل بالهموم، وجريان الأنهار على اليم الرخاء يوحي بهوية الاستقرار والهناء، و أيضاً يغمر الكونَ السماح الّذي يفيض ينبوعه بالحبّ و النعمى. عندما يمتلأ الكون باللطف والرخاء والسماح تهفو الأسحار الّتي سبقها النّهار والضحى إلى السماح ونقائه» (مهدي، ٢٠٠١: ١٨٨). وأسند الشاعر الفعل (تهفو) للأسحار ليعطيه هويةً جديدةً وهي هوية الإنسان المشتاق إلى العدل والحرية والجمال والطمأنينة.

السؤال الّذي يطرح هنا هو ما هي ميزة الخلق الرسالي؟ ويقول الشاعر في هذا المجال:

خُلُقٌ تومِضُ الوداعةُ في عينهِ كالفجرِ في عيونِ الشّروقِ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٥).

نرى في هذا البيت «عظمة الخلق الّذي امتزج بروح الرّسول، أخرج الشاعر (الوداعة) من معناها العادي ليمنحها بعداً ضوئياً. لهذا يلمع اللطف والوداعة في عيني الرّسول، ووميضه يزيل الظلام في الليالي. ووميض الوداعة الّذي يختزن النور يتماهى مع التشبيه الّذي أشار إليه الشاعر (كالفجرِ في عيونِ الشّروقِ) فالشروق يتخذ هوية النائم الّذي أيقظه انبلاج الفجر بزوال الظلمة وخلقُ الرّسول ينير القلوب بالكلام الطيب واللين و «كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء» (إبراهيم: ٢٤)؛ ليس لخلق الرّسول حدوداً بل خلقه عظيم يُقتَدَى به وهو يشكّل منهاجاً يجب الرجوع إليه في كلّ زمانٍ ومكانٍ. هكذا نظر الشاعر إليه في المعاناة، وسماع الأحاديث الفظة، وإستثارة البغضاء والوقوف بوجه الإيمان، الّذي يجسّده الرّسول» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٨٩)، فيقول:

يا رسولَ الخُلُقِ العظيم ... هنا نحنُ نعني مِن وَسْوساتِ الضّلالِ
مِن نجاوى لا يستريحُ لها الشَّوطُ ... ففي وحيها جنونُ اللّيالي
وحديثٌ فظٌّ ... وقلبٌ حقودٌ يستثيرُ البغضاء في كلِّ حال
فيخالُ الإيمانَ عَسْفاً ... ويَنسَى خُلُقَك السَّمحَ في ضميرِ الرّجالِ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٩).

إنّ خُلُقَ الرّسول في رأي الشاعر عظيمٌ واستلهم الشاعر هذا المعنى من *القرآن* «وإنّك لعلى خلق عظيم» (القلم: ٤)، الشاعر في حياته يحتاج إلى خلق الرّسول «لأنَّ شكوك المضلين تسعى لإبعاد الأمة والمجتمع عن طريقها المستقيم. فحديث الضلال غليظٌ ولكن حديث الرّسول في منتهى الأخلال «ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك» (آل عمران: ١٥٩)، وأيضا قلب الضلال ممتليء بالحقد، بينما قلب الرّسول يفيض بالحبّ والنعمى والسماح، ووسوسات الضلال تسعى إلى التشكيك بالإيمان فتخاله ظلماً، متناسية الخلق السمح الّذي أودعه في ضمير العباد. ويبقى الرّسول الأعظم أسمى مِن أيِّ نورٍ تشعشعَ على الكون وتمثّلَ الناس به واهتدى به» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩٠). ورسول الخلق العظيم عند الشاعر هو الذّروة من كلّ شيءٍ، فيقول:

يا رسولَ الخلقِ العظيمِ ... هنا نحنُ التفاتٌ إلى الذُّرى وانفتاحُ
أنتَ كُلُّ الذُّرى الّتي تحملُ الشمسَ فيزهو في جانحَيها الصَّباحُ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٩).

الشاعر مع قومه ينظرون إلى القمم والذرى، و في أنفسهم شوقٌ للتحليق في رحاب العلياء والانفتاح على معطيات الوجود، لهذا نرى في البيت الثاني «يخاطب الشاعرُ الرّسول بواسطة الضمير (أنت) ويأتي الخبر (كلّ) ليشير إلى كمال هذه الشخصية العظيمة وعدم نقصانها، إذا ما أضاف الشاعر (كلّ) إلى (الذرى) فإنّه منح الرّسول هوية السمو والعظمة والرفعة، وأيّة ذرى هي هذه؟ إنّها الذرى الشمّاء المتعالية الحاملة للشمس الّتي لايعلم مستقرها و مستودعها إلّا الله. وإذا كان الله تعالى سخّر الشمس والقمر للإنسان، فإنّ الرّسول (الذرى) قد انتشر نورُه على الكون بأسره، و هذه الذرى تحمل الشمس الّتي صارت طائراً يُطِلُّ من جناحيها الصباح» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩١).

٢,٧ الرّسول الرحمة

اهتمّ *القرآن الكريم* اهتماماً خاصاً بموضوع الرحمة، وحقيقة القول إنّ الإسلام هو دين الرحمة، وإنّ الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى هم رسل الرحمة، والرحمة أمرٌ فرضه الله على نفسه «كتب على نفسه الرّحمة» (انعام: ١٢) ولقد استطاع الشاعر أن يعيش رحمة الله سبحانه بما اختزن الرّسول من شيم وصفات خَلَقَ اللهُ عليها، «فحبّ الله لعباده هو رحمته ولطفه ورزقه، وفي ضوء هذا علينا أن نتعلم كيف نحبّ ربّنا. نحبّه في جماله وهو الّذي خَلَقَ الجمال، إذا كنا نحبّ في الجميل جماله، نحبه بقوته وهو الّذي يملك القوة الّتي لا حدّ لها، نحبه لعمله ولرحمته ولكل صفات الكمال والجلال فيه» (فضل الله، د.ت: ١/ ٤٦)، إنّ حبّ الشاعر لله ينطلق مِن مقوّماتٍ أظهرتها رحمة الله، الّتي رآها في النبيّ تتخذُ هوية المطر والثورة والتغيير، يقول الشاعر مخاطباً الرّسول الرحمة:

وحيُك الرّحمةُ الّتي تنبتُ القلبَ حناناً وتملأُ الأرض بِرّاً
وتهزُّ الأعماقَ بالأريحياتِ العذارَى تفوحُ ـ كالزَّهر ـ عِطراً
فهي في السِّلمِ دمعةٌ لليتامَى تتلظَّى حُزناً لتدفعَ ضُرّاً
وهي في الحربِ روعةُ العدلِ في الإنسانِ تستنزِفُ المشاعِرَ طُهراً (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٥).

جَعَلَ الشاعر المبتدأ (وحيك) والخبر (الرحمة) شيئاً واحداً، فوحي الرّسول هو الرحمة، والرحمة هي وحيه وأيّ رحمةٍ هي هذه؟ إنّها الرحمة الّتي تثير في القلوب الأمل والرجاء كالأمل الّذي يبعثه الغيث في قلوب الناس «وهو الّذي ينزّل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته» (الشورى: ٢٨) بعبارةٍ أخرى الرحمة كالمطر كما المطر يحيي الأرض بعد موتها إنّ الرحمة الّتي يحلها الرّسول في عمقه وحبّه تنبت القلوب، وأيّ نباتٍ هو هذا؟ هل هو الثمر والعشب؟ إنّه الحنان والعطف، وأيضاً هذه الرحمة تملأ الأرضَ برّاً وحرف (و) في البيت الأوّل يفيد مطلق المشاركة في النبات والعطاء.

يتابع الشاعر في ذكر ميزات الرحمة في البيت الثاني ويقول: «الرحمة تلجُ الوجدان لهزّ الأعماق بالأريحيّات البكر الّتي أنبتت في القلب لتعطّر الأرجاء بشذاها. في البيت الثالث ينتقل الشاعر بالرحمة مِن وحي القلب وأعماقه إلى حركية الرحمة بين زمنين متناقضين هما: زمن السلم و زمن الحرب. فالرحمة في السلم (دمعة لليتامى) والشاعر يعطي الرحمة هويّةً جديدةً و هي هويّة الأمومة الّتي تكفكف الدمع حالة اليتيم، وهي تصبو (لتدفع ضراً) ودفع الضرّ يوحي بالمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتق الرحمة والأم» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩٤)؛ ففي رأى الشاعر الرحمة كالأمّ.

ورحمة الرّسول في الحرب (روعة العدل) فمن أرحم من الله تعالى؟ «ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته في الدّنيا والآخرة لمسّكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم» (النور: ١٤) فالله رحمان رحيم وكذلك رسوله الّذي يمثّل عدله في ساحة الحرب رحمة لأعدائه وعفواً عنهم وصفحاً عمّا اقترفوه بحقه، وهو ما أكّده *القرآن الكريم* بحق الرّسول ومن معه «محمّد رسول اللّه والّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم» (الفتح: ٢٩).

وقد يكون للرحمة في الرّسول ميزةً أخرى، هو حقيقة العلاقة مع الآخرين، هؤلاء الذين لانَ الرّسول لهم وحادثهم بقلبه وعقله وروحه لينفتح معهم على الله تعالى وعلى دينه، يقول الشاعر:

فبما رحمةٍ من اللهِ ... كنتَ اللّين السهلَ في الشعورِ الرّحيم
لستَ فظَّ اللِّسانِ، لستَ غليظَ القلبِ، بل كنتَ رحمةً للخصومِ
... والتقى المسلمونَ حولك في روحٍ وديعٍ في كلِّ خُلُقٍ كريمٍ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧٦).

البيت الأوّل يشير إلى هذه الآية الكريمة «فبما رحمة من اللّه لنت لهم» (آل عمران: ١٥٩) «الخطاب الإلهي موجّهٌ للرسول في مسار تحديد علاقته بأتباعه، الّذين كان معهم ليناً سهلاً، يتحسّس آلامهم، ويعيش أفراحهم، يحادثهم كأنّه فرد منهم يرشدهم ويشاورهم في أمور دنياهم وحياتهم ''وشاورهم في الأمر'' (آل عمران: ١٥٩) وهو ليس فظّ اللسان معهم، ولا غليظ القلب، وإلّا لما تجمّعوا حوله، وناصروه، وأحبُوه، وأيّدوه» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩٥)، بل هو في قمة الرحمة حتى لخصومه «ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك» (آل عمران: ١٥٩) ورحمة الرّسول ليست للمؤمنين فحسب «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (التوبة: ١٢٨).

البيت الأخير يرسم صورة اللقاء الإسلامي العظيم في ظلال رحمة الرّسول وأخلاقه، هؤلاء الّذين لم ينفضّوا عنه بل تجمّعوا حوله، تخلّقوا بأخلاقه، وتأثّروا بسلوكه وآمنوا بما أنزل عليه «ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرّسول فاكتُبنا مع الشّاهدين» (آل عمران: ٥٣).

٣,٧ رسول السّلام

ليس عجيباً أنّ رسول الله، هو رسول السلام. والله أرسل رسوله ليدعو إلى دار السلام «واللّه يدعو إلى دار السّلام» (يونس: ٢٥)، فإذا أوحى لنبيّه بشريعته وأمَرَهُ أن يحملها للناس كافة، كان رسوله داعية السلام الأوّل، الهادي إلى الصراط المليء بالمحبة والجمال:

يا رسولَ السلامِ ينبضُ بالرُّوحِ حياةً ورحمةً وجمالاً
أنتَ أطلقتَهُ لينعَمَ فيهِ الكونُ لطفاً و نعمةً و ظلالا
من جلالِ الوحي العظيمِ، مِن الوحي السماويِّ دعوةً وابتهالا
من هداك السّمْحِ الطَّهورِ يضمُّ الحبَّ والخيرَ روعة وجلالا (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٦٩).

استهلّ الشاعر أبياته بجملة إنشائية (يا رسول السلام)، في رأى الشاعر الرّسول ليس رسولاً عادياً إنّه يحمل الهوية الرحمانية «هو اللّه الّذي لا إله إلّا هو الملك القدّوس السّلام» (الحشر: ٢٣) فالله هو السلام الّذي أرسل به الرّسول، وللسلام ميزاتٌ وعلاماتٌ، فكيف كان السلام الرّسولي؟ هذا السلام ممتزجٌ بالحياة والرحمة والجمال. في البيت الثاني أسند الشاعر الفعل (أطلق)

للمبتدأ (أنت) العائد للرسول ليحدّد المصدر والوجهة، فالرّسول صاحب المبادرة، والوجهة هي الكون، بكل ما فيه وما يحتويه. والرّسول الّذي أرسل للعالمين، جاء بسلام يهيمن على البشر جميعاً. الفعل (ينعم) مسبوق بلام التعليل الّتي تبيّن سبب إطلاق الرّسول للسلام، وهو الوصول بالدّنيا إلى اللطف والسماح والنعم وأفياء السعادة. في البيت الثالث يبيّن الشعر أنّ كلّ ما جاء به الرّسول وما أطلقه كان بأمر الله التعالى فإذا ما كان الله «يدعو إلى دار السّلام» (يونس: ٢٥)، «فإنّ رُسلَه يحملون لواء المسيرة التائقة إلى هذا الدار. لهذا نرى أنّ هذا السلام من الوحي العظيم، هذا الوحي هو وحيٌ سماويٌّ، لا ينطق عن الهوى، بل يملأ قلب الرّسول/ السلام دعوةَ الحقِّ وابتهالَ الحقيقة. نستدرك من البيت الأخير أنّ هدى الرّسول ليس هدىً عاديّاً، إنّه من خلال السمح الطهور يمنح هذا الهدى روحية الإنسان الأسمى، الّذي تتوافر فيه كلّ صفات الكمال ليلتقي مع القلب الّذي ينبض سلاماً ورحمة، فإذا بهدى الرّسول يضمّ هذا الملتقى الحبِّ والخير روعة وسحراً وعظمةً وجلالاً» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٨٣). وما ذلك إلّا بفضل الروح الّتي يمتلكها هذا الرّسول الأعظم.

وأيضاً يقول الشاعر:

أنتَ روحُ السلامِ ... أيّ سلامٍ لم يَفِضْ وحيهُ مِن اليَنبوعِ
مِن ربيعِ المشاعرِ البيض، في روحِ النبواتِ، مِن جمالِ الربيعِ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٦٩).

استهلّ الشاعر البيت بالمبتدأ والخبر ليخاطب الرّسول بالضمير (أنت) ومن هو؟ يأتي الخبر (روح) المضاف إلى السلام ليخصِّص الشاعر الرّسول بأنّه الروح/ السلام. ويستكمل الشاعر صورته بتساؤل، لايخفي فيه أنّ على الإنسان أن يأخذ كلَّ شيءٍ من ينابيعه الأصلية، فإذا ما مثّل الرّسول روح السلام، فإنّ أيّ سلامٍ بعده مشكوكٌ به، إذا لم يفض وحيه من الينبوع الأساس وهو نهج الرّسول وسلامه.

«في رأي الشاعر مصدر السلام هو الينابيع المتفجرة والربيع، لكنه ليس ربيع الطبيعة، إنّ فيض السلام من القلب، يستدعي حضور العواطف والمشاعر البيض بما توحي كلمة البيض من نقاءٍ وصفاءٍ.كرّر الشاعر حرف الجرّ (من) في البيتين ليوجّه السلام نحو الإتجاه الأسلم والأصوب، إنّه إتجاه وحي الرسالة، و ربيع المشاعر البيض المتفجرة في روح النبوات هؤلاء الأنبياء الذين يلتقون

على هدفٍ واحدٍ وسرٍّ واحدٍ يوحي بالعطاء الدائم، كما هو عطاء الربيع للكون» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٨٤). وللسلام الّذي يشكّل الرّسول روحَه، موعدٌ وهدفٌ، يقول:

موعِدُ السّلمِ: أنْ تعيشَ سلامَ الروحِ، للهِ في خشوعِ السَّلامِ
فتهلُّ الصلاةُ ينبوعَ خيرٍ يسكبُ الحبَّ في قلوبِ الأنامِ
ويفيضُ الدعاءُ إشراقَ طهرٍ يبعثُ النورَ في جفونِ الظّلامِ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٧١).

موعد السّلم الّذي جدير لنا أن نعيشه نهجاً، وسلوكاً رسالياً حددّه الشاعر من خلال الأسس الإيمانية، وأساليب التقوى والهدى، إذا أردتَ أن تعيش السلام والطمأنينة والسّلم الّذي يأمر الله تعالى به «يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافّة» (البقرة: ٢٠٨)، وأوّل خطوةٍ تخطوها هو (عيشك) صفاء وسلام الروح، وإذا ما أضافَ الشاعر (الخشوع) لـ (السلام) ليعطيها هويّةً جديدةً وهي هويّة الإنسان الزاهد والخاشع لله.

أمّا الصورة الثانية الّتي أخذها الشاعر من لحظة عيش سلام الروح لله تعالى خشوعاً وتقوىً، فهي لحظة الصلاة والتأمّل. فالصلاةُ علامة الخشوع والتقوى «قد أفلح المؤمنون، الّذين هم في صلاتهم خاشعون» (المؤمنون: ١، ٢) فالخشوع جعل الصلاة تهلّ، الفعل المضارع (تهلّ) يشير إلى الحيوية و الفرح و السعادة. الشاعر لايترک الصلاة على هويتها في الإسلام، بل يمنحها هوية الينبوع، لماذا؟ لأنّ الينبوع مصدر خير وعطاء، و إذا ما تفجر في الأودية، فإنّه يجعل الأرض تزهو بالسحر والجمال. هذه الصلاة ينبوع يَسكُبُ حباً يتسلل إلى قلوب الناس، ليفتحها على الله وعلى هدى رسوله وسلامه.

«عندما أهلّت الصلاة ينبوع خير، فاض الدعاء، ورفعت الأكفّ شاكرة الله على آلائه «وإن تعدّوا نعمة اللّه لاتحصوها» (إبراهيم: ٣٤) والدعاء الّذي يفيض مع صورة ينبوع الصلاة، وهو السلاح الّذي أمر الله به «قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم» (الفرقان: ٧٧) وكيف يفيض الدعاء؟ إنّه يرشح إشراق طهر، فالحال إشراق توحي بالضياء النوراني، الّذي يرتسم على وجه الداعي في جوف الليل. إذا ما أضاف الشاعر (إشراق) لـ (طهر) فإنّه قد مَنَحَ الإشراق صورةً جديدةً هي صورة الصفاء الإلهي فالله يحب المصلين والداعين والتائبين والمتطهرين» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٨٦). لذلك يشرق طهر الدعاء، ليبعث نور الهدى، والإيمان في (جفون الظلام).

٤,٧ الرّسول الإنسان

فقد كان الرّسول إنساناً حمل رسالة الله الّتي تشمل كلّ المعاني الإنسانية: من رحمةٍ وحنانٍ، وعطفٍ وسلامٍ، أفاض الرّسول على كلّ ما حوله، وهو ما مثّل سرّ شخصيته. والشاعر يقول حول إنسانيّة الرّسول: «فهو عبد الله الّذي أحبّ الله كما لم يحبّه أحد، وعاش مع الله كما لم يعش معه أحد، ولذلك فإنّ سرّه كان هنا، وعندما يكون الله سرّ إنسان، فإنّ معنى ذلك أنّ إنسانيته تتحرك كما هو الينبوع تماماً، الّذي يعطي الريّ والخصب والرخاء، وكما هي الشمس الّتي تعطي النور والدفء والحياة» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٤) «ولهذا رأينا رسول الله وهو نبيّنا وإمامنا ومرشدنا قد دخل إلى قلوب الناس قبل أن يدخل إلى عقولهم واحتوى كلّ الناس بقلب رحيم فكان رقيقاً يتحسّس كلّ آلامهم، واحتوى آذان الناس بكلماته الحلوة الرقيقة، واحتوى حياة الناس بحرصه عليهم» (فضل الله، د.ت: ١/ ٥٢٨) يتحسّس كلّ التعب الّذي تعيشونه «حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» (التوبة: ١٢٨).

إنّ إنساناً يملك هذه الصفات القرآنية الّتي تظهر عظم شخصيته، لابدّ أن يكون كما رآه الشاعر الّذي خاطب الرّسول الإنسان:

أنتَ مَنْ أنتَ ... أنتَ إنسانُنا الأسمَى ... هدانا على الطَّريقِ الطَّويلِ
قولُكَ الوحيُ ... دربُكَ الشِّرعَةُ السمحاءُ عبرَ التكبيرِ والتَّهْليلِ
ومداكَ الإنسانُ في كلِّ أفقٍ يتملَّى شروقَهُ كُلُّ جيلِ
أنتَ إنسانُنا الّذي ترفعُ القمَّةُ تاريخَه لكلِّ دليلِ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٨٣).

جاء الضمير (أنت) ثلاث مرّات في البيت الأوّل، «وما دلالة هذا التكرار إلّا لتأكيد الشاعر على عمق الحضور لرسول الله (ص) ومدى العلاقة معه. الرّسول الأعظم هو خاتم الأنبياء والمرسلين الّذي يمثّلُ القِمَّةَ الإنسانية، لذلك تأتي الصفة الأسمى الّتي ألحقها الشاعر بالخبر (إنسان) ليتركنا نفكّر في حدود هذا السموّ اللامتناهي، الّذي حازه الرّسول ليكون الأمة بكلّ شريعتها في فرد واحد، كما كان إبراهيم الخليل «إنّ إبراهيم كان أمّة» (النحل: ١٢٠). ولايكتفي الشاعر بإسناد (إنساننا الأسمى) إلى المبتدأ (أنت) بل يمنحه هوية جديدة هي الهدى، الإنسان الأسمى ذاك القائد، المرشد والدليل الهادي إلى الطريق الحق» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٦).

في البيت الثاني يتحدّث الشاعر عن قول الرّسول، وأيّ قولٍ هو هذا؟ هل هو قولٌ ما لايفعل؟ يأتي الخبر (الوحي) ليبيّن الشاعر أنّ قولَ الرّسول ليس كلاماً عادياً بل وحي من الله تعالى «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلَا وحي يوحى» (النجم: ٣، ٤)، فهل في هذا القول شكٌّ؟ «ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة» (الإسراء: ٣٩) ومن كان قوله وحياً وحكمةً سيكون دربه درب الوحي ودرب الحكمة.

في البيت الثالث «حدّد الشاعر وجهة الدعوة الرسالية فلمن أرسل وعلى أيّة قاعدةٍ؟ فالرّسول لم يتحرّك في مداه المكاني والزمني، ليكون لفرد دون آخر، ولأمّة دون سواها، بل كان البشير لمن اتقى، والنذير لمن أعرض ونأى بجانبه، ولذلك أُوحيَ إليه «وما أرسلناك إلَا رحمة للعالمين» (الأنبياء: ١٠٧) وأوحت سيرته القرآنية للشاعر بأنّه الإنسان الأسمى الّذي مداه الإنسانية حيث يتملّى كلُّ جيلٍ شروق هذه العدالة الإنسانية وهذه الرحمة» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٧).

وفي البيت الأخير يتحدث عن الرّسول وهو عبد الله الّذي (ترفعُ القمَّةُ تاريخَه) إلى أين؟ ولمن؟ يجيب الشاعر (لكلّ دليل) وفي إسناد الرفع إلى (القمة) أخرجها الشاعر عن دلالتها الموضوعية، وكأنّ (القمّة) ما كانت لتنتظر أحداً كي يرفع تاريخ سيرة الرّسول حتى اقتبسها نوراً يَستضيء كلّ طلاب السعادة والكمال بهديه ورشاده.

يقول الشاعر في ديوانه الآخر مسمّى بـ (قصائد للإسلام والحياة):

يا رسولَ الحياة أنتَ ... هنا ... في الحقلِ ... في يقظةِ الصَّباحِ الرَّغيدِ
فَتَلَمَّسْ أزهارَهُ: هل ترى فيها رُواءَ النّدى وزَهوَ الورودِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦١).

أضاف (رسول) إلى (الحياة)، ولكن إلى أيّ شيء يوحي المضاف إليه؟ «إنّه يحمل كل معاني البقاء والحيوية والنضارة، فإذا ما كان المطر سبباً للحياة فإنّ رسول الله قد أُرسِلَ حياةً للدنيا، ويأتي الضمير (أنت) المبتدأ وقد حذف الشاعر الخبر (موجود) ليوحي من خلال اسم الإشارة (هنا) أنّ للرسول وجهة مكانية، فهو ليس في السماء وليس بعيداً عن الشاعر، وليس في أيّ مكانٍ، إنّه (في الحقل) حيث الأزهار والعشب والنبات، وهو أيضاً في انبلاج الفجر (ويقظة الصباح الرغيد) حيث توحي اليقظة بانبعاث وقت جديد، وقيامة الإنسان والكائنات لاستقبال يوم يوحي بالسعادة.

وفي البيت الثاني الشاعر يريد من الرّسول الأعظم أن يتلمّس أزهار الحقل ليشير إلى ما يوحيه الزهر في الحقل من ندى يبلّله الصباح، وزهو يعتريه عندما تطلّ عليه خيوط الشمس الأولى. وحين يتلمّس الرّسول أزهار الحقل، يتحوّل القفر إلى واحة ويعمّ الرخاء الأرض ومن عليها» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٨)، فيقول:

فإذا القفرُ واحةٌ: تبعثُ الظلَّ مديداً على خطوطِ البيدِ

وإذا بالرّخاء: يحتضِنُ الأرضَ، ليطويَ ذكرى العهودِ السُّودِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦٠).

شاهدنا في البيتين صورة (الموت والحياة) القفر/ الواحة هو قبل الرّسول/ صحراء قاحلة لا حياة فيها، «وإذا ما أخرج الرّسول الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والتقوى بدعوته، فإنّه بأخلاقه وسيرته ورحمته قد جعل الصحراء واحةً يستنشق الناس فيها نعيم الجنة، والواحة مصدرٌ للحياة والظلال الّتي لاتقتصر على حدودها، وإنّما تمتدّ كامتداد الرسالة لتشمل البيداء ومن عليها، والظلّ الّذي تبعثه الواحة مديداً يوحي بالظلّ الإلهي» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢١٠)، لأنّه بفعل الرسالة «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا» (الفرقان: ٤٥) فمن دخل الواحة دخل ظلاً ظليلاً «لهم فيها أزواج مطهّرة وندخلهم ظلّا ظليلا» (النساء: ٥٧).

في البيت الثاني يقول الشاعر إنّ امتداد الظلّ أوحى بالرخاء والطمأنينة، والرخاء كأمٍّ مليئة بالعطف والحنان، إنّه يضمّ الأرض إلى صدره ويطوي ذكرى فترات الظلم والفساد والجاهلية، ليعيش الناس الحرية والهناء والسعادة ويذكروا آلاء الله.

٥,٧ الرّسول القدوة

شخصية رسول الله رمزٌ وقدوةٌ كما قال الله تعالى «لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيرا» (الأحزاب: ٢١) فإذا كان «لكلّ أمّة رسول» (يونس: ٤٧) فإنّ الأمة الّتي ينتمي إليها الشاعر رسولها محمّد (ص) الّذي درسه الشاعر في *القرآن الكريم* دراسة كوّنت للرسول الأعظم (ص) شخصية القدوة الفريدة الّتي يذكرها الشاعر قائلاً: «نحن نتصور النبي (ص) إنساناً يختزن في إنسانيته معنى انفتاحه على

الله، الّذي يحتضن في رحمته كلّ خلقه. ومن هنا فإنّ الانفتاح على الله في المعنى الإنساني الّذي يعيشه هو الانتفاح على الكمال المطلق، وعلى الرحمة المطلقة، وعلى العطاء المطلق، ولذلك فإنّي أعد أنّ هذه الإنسانية المضمخة بمحبة الله هي سر كلّ ما انطلق به النبي (ص)» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩٧) الرّسول قدوةٌ في الإنسانية كما ذكر *القرآن* «يا أيّها النّاس قد جاءكم الرّسول بالحقّ من ربّكم» (النساء: ١٧٠) وقدوةٌ في السيرة وقدوةٌ في الحرب، وقدوة في السّلم وقدوةٌ في الجهاد «لكن الرّسول والّذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون» (التوبة: ٨٨) ويكفي أنّ الرّسول كان قدوةً الحياة كلّها، وإطاعته سبيل للنعمة الإلهية «من يطع الرّسول فقد أطاع اللّه» (النساء: ٨٠) وأيضاً وصف الإمام علي (ع) الرّسول (ص) قائلا: «أَرْسَلَهُ بِالضِّياءِ وَقَدَّمَهُ فِي الاِصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ المَفاتِقَ، وساوَرَ بِهِ المغالِبَ، وذلّل به الصّعوبة، وسهّل به الحزونة حتّى سرّح الضّلال عن يمين وشمال» (الشريف الرضي، د.ت: خطبة ٢١٣)، إنّ النبي الإنسان جسَّد في حدود إنسانيته سموّ الروح فكان المرسل بالحق «يا أيّها النّبيّ إنّا أرسلناك شاهدا ومبشّرا ونذيرا وداعيا إلى اللّه بإذنه وسراجا منيرا» (الأحزاب: ٤٥، ٤٦) والسؤال الّذي يطرح هنا هو هل جديرٌ للناس أن يشربوا من غير هذا المعين المتفجّر في كلّ مكانٍ و زمانٍ؟ إنَّ الشاعر قد أدرك ذلك وقد استوحى هذه القدوة العظيمة فيقول:

أنتَ سرُّ الرّسالةِ الطُّهرِ ... إنّا وعيناك دعوةً ورسالهْ
وجهاداً حرّاً يشدُّ على الدُّنيا يديه سعادةً وعدالهْ
وبشيراً تعيشُ كلُّ جنانِ الطُّهرِ في وحيهِ، وترعَى جمالَهْ
ونذيراً يشتدُّ كلُّ سعيرِ النّارِ في آيهِ لظىً وجلالَهْ (فضل الله، ٢٠٠٠: ١٨١).

وَعَى الشاعرُ الرّسول دعوةً، حكمةً وموعظةً حسنةً ورسالةً وعاه جهاداً و «أيّ جهادٍ هو هذا؟ إنّه جهاد الإسلام، هذا الجهاد القائم على الحرية، ونبذ الذات والسعي للشموخ بالمجتمع إلى أرقى درجاته، ويأتي الفعل المضارع (يشدّ) ليمنح الشاعرُ الجهادَ هويةً جديدةً وهي هوية الإنسان المتين، وكيف يشدّ الجهاد يديه على الدنيا؟ ونطرح السؤال بشكلٍ آخر وهو: ما هدف الرّسول من الجهاد والقتال؟ تأتي الحال (سعادة) و(عدالة) لتوضح عملية الشدّ الجهادية على الكون وما

فيه، فما جاء به الرّسول هو لسعادة البشر ولإقامة العدل فيما بينهم، والاستجابة إليه تَعني الإستجابة لما فيه الفرح والحياة» (مهدي، ٢٠٠٤: ١٩٩) «يا أيّها الّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم» (الأنفال: ٢٤) والعدل هو أرقى ما يطمح إليه الناس ويعملون لتحقيقه «وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل» (النساء: ٥٨).

بدأ الشاعر البيت الثالث بالحال (بشيراً) ليشير إلى صورة ثالثة للرسول القدوة، «هي صورة الإنسان الّذي يحمل البشارة للمحبين. كما قال الله تعالى «فإنّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين وتنذر به قوما لدّا» فالهاء في يسّرناه عائدة للقرآن الكريم الّذي بشّر الرّسول من خلاله المتقين، بما لهم من عظيم فضل ومغفرة، لأنّهم آمنوا بالله ورسوله وأطاعوا الله ورسوله. أسند الشاعر الفعل المضارع (تعيش) لـ(كل) الفاعل المضاف إلى (جنان الطهر) ليمنح هذه الصورة الحياتية دلالة السعادة، والطمأنينة والاستقرار في ظلّ وحي الرّسول» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٠). والفعل (ترعى) المتعدي إلى المفعول به (جماله) يمنح (جمال الطهر) هوية المسؤول والقائد الّذي يهتمّ بشؤون أفراده.

نرى نوعاً من التقابل بين صورة الرّسول القدوة كبشير للمتقين ونذير لمن يحمل العداوة والحقد في نفسه «وأنذر النّاس يوم يأتيهم العذاب» (إبراهيم: ٤٤) فالإنذار للقوم «اللدّ» يستحضر في ذهن الشاعر الغضب الإلهي الّذي حذر الرّسول منه في معرض إنذاره، لأنّ *القرآن* ذكّر به في أكثر من موقع «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» (غافر: ١٧).

وإذا كانت (كلّ جنان الطهر) تعيش في وحي النبي البشير، فإنّ (كلّ سعير النار) «يشتدّ في الآيات الّتي أنذر الرّسول القدوة كلَّ من ناوأه وناصبه العداء ووقف في طرق دعوته بها، حتى ولوكان أقرب المقربين إليه. إنّ هذه الصور الشعريّة الأربع تتكامل مع الآيات القرآنيّة، فلقد استوحى الشاعر الرّسول القدوة الإنسانيّة والجهاديّة والمبشّر والمنذر، من خلال الدلالات الّتي وعاها في عمق الآيات الكريمة وشموليتها» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠١). ولايكتفي الشاعر بذلك كله، فقد حاول أن يذكر سيرة الرّسول الأعظم كأسوة يجب على أفراد البشر الاقتداء بها، والاستحياء من نهجها والاستلهام من خطاها لأنّها أرقى تجربةٍ إنسانيةٍ رائدةٍ.

الشاعر في ديوانه المسمّى بقصائد للإسلام و الحياة يقول:

وسجا اللَّيلُ ... فانتبهتَ ... وعيناك ... التفاتٌ إلى جَلالِ المساء
حاملاً في يديك قرآنكَ البكر ... وفي روحِكَ إنتفاضُ الحياء
ثمَّ مرَّ النسيمُ ... وانسابتِ الآياتُ ... في صوتكَ الحبيبِ النائي
أيّها النَّاسُ كلُّكم ... لو عقلْتم ... مبدأَ الخلقِ مِنْ تُرابٍ وماءِ
إنَّ هذي الفروقَ أضعفُ مِن أن تتجنَّى على طريقِ السّواءِ
فأخنقوها ... ونضِّروا الرّوحَ بالتقوى فإنَّ الصباحَ للأتقياءِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦٨، ٦٩).

إذا ما (سجا الليل) وسجو الليل قد يكون ستاراً لظلام الجهل، وإذا ما هجعت عيون الناس جمعياً، ولم تقدر على النهوض سعياً من أجل حقها المغتصب، كان الرّسول قدوة في مسلكه، وسيرته وجهاده وحياته وتعاطيه مع الناس. «وانتباه الرّسول يعني عدم غفلته عن المطالبة بالحق، وحمله لكتابه البكر يمثّل دعوة الناس إلى ما يتضمنه قرآنه، وحثهم على سماع صوته الناطق بوحي قرآنه، وبم ينطق الرّسول؟ وماذا تحمل نفحات النسيم للمستمعين؟ «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة» (غافر: ٦٧) فلا فرق بين عربيٍ و أعجميٍ، وأبيض وأسود، وذكرٍ وأنثى، فالخلق كلّهم عيال الله «يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات: ١٣)، فإذا عَقَلَ الناس هذه الفروق وجدوا أنّها (أضعفُ مِن أن تتجنَّى على طريقِ السّواءِ) ومبدأ الإنسانية وشريعة الله تعالى الّتي لا تميز بين فردٍ وآخر إلّا على أساس التقوى، وهو ما جعل الشاعر يطلب على لسان الرّسول خنق هذه الفروق، وعيش التقوى لأنّه قمة التفاضل» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٠٢). وهكذا يطل الصباح، موعد المتقين «إنّ موعدهم الصّبح أليس الصّبح بقريب» (هود: ٨١) ويملأ النفوس حبّاً وبرّاً وعدلاً وسماحاً.

خطوةً خطوةً ... وأنتَ تقود الركب للنور ... للأماني الوِضاءِ
ورأيناكَ ... في الذُّرى ... تصرعُ الظلمَ ... بسوطِ العقيدةِ الشمّاءِ
ولَمسناك ... والفتوحاتُ في كفّيكَ ... تأبَى طبيعةَ الخَيلاءِ
أنتَ تاريخُنا وأنتَ هدانا ... فتعهّد جراحَنا ... بالشِّفاءِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦٨، ٧٢، ٧٣).

والنبيّ (ص) كقائدٍ وهو أمام الناس ويهدي ويقود الناس إلى النور وهو الصراط المستقيم وإلى الأماني الطاهرة والرّسول الأعظم في قمة الصفات الحميدة كلها وأصبحت هذه القمة أسوة وقدوة للناس ويحاولون للوصول إليها، وهذا النبيّ (ص) تاريخنا وما هو دور التاريخ للإنسان؟ التاريخ سراج طريقنا ويهدينا إلى الصواب.

لقد استطاع السيد أن يبحر في يمّ الرّسول، ويؤوب وقد حصّل في رحلته سيرةً خلّدَها كتاب الله بأحرف من نور وتربيةً روحيةً خالصةَ الثقة بالله تعالى، لكن السؤال هو: إذا كانت أبيات الشاعر صدى للآيات القرآنية فما الجديد الّذي جاء به؟ وما جدوى نصوصه الشعرية؟ هنا يهمّنا أن نتحدّث عن أثر الشخصية العظيمة لرسول الله (ص) في الواقع المُعاش، من خلال مبحث الرّسول وواقع العصر.

٦,٧ الرّسول وواقع العصر

يعتبرُ الشاعرُ أنّ اللهَ قدكتب رحمته لمن يتبع الرّسول قولاً وعملاً «فاللهُ يكتب رحمته لمن تبعه لا لمن ينتمي إليه انتماء الكلمة، ولا لمن ينطلق معه بعيداً عن حالة الاتباع» (فضل الله، د.ت: ٢/ ٧٠) هذه الحالة الّتي تعني أن يكون رسول الله دائم الحضور في حياتنا، لأنّ نسيان تجربته الرسالية، يعني ضياع الماضي والحاضر والمستقبل. لقد انطلق الشاعر، من سيرة الرّسول، الّذي عدّه رمزاً للأحرار ليستوحي واقع الأمة وآفاق تطلعاتها، ليطلّ على الجيل الّذي أراده قويّاً يلهب ساحات الصراع.

١,٦,٧ النبيّ رمز الحرية

إذا كان لنا في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ، فما الأسوة الّتي رآها الشاعر في اتخاذ الرّسول رمزاً للحرية؟ وما الدعوات الّتي أطلقها ليبدع حياةً عزيزةً يسودها العدل و السلام والرخاء؟ يقول:

يا نبيّ الأحرارِ ... حرِّر ندائي من حياةٍ ... مخنوقَةِ الأصداءِ
وازرعِ النورَ في دَمي ... إنَّ نجواي ... حروفٌ مغموسةٌ بدمائي
مُدَّني بالحياة ... تبدِعْ مسلادَك ... فجراً مُعطَّراً الأجواءِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦٧).

إنّ النبي محمّد (ص) يتّخذ من خلال إضافة المنادى: «نبي» الأحرار هوية الرمز. وهذا يشير إلى القضايا الّتي يعيشها الشاعر في حياته وواقعه، وهي حياةٌ مثقلةٌ بقيود التعسّف والظلم والاستبداد، وخنق الأصوات الثائرة. ويأتي فعل الأمر (حرّر) والمتعدي إلى المفعول به (ندائي) لمنح النداء هوية الإنسان المقيد، ومِمَّ يحرّره؟ من (حياة مخنوقة الأصداد) فالحريّة تجعل الإنسان يتنفس الهواء الطلق، بينما الأسر يضيق الفضاء ويخنق (الأصداء) فتتخذّ الأصداء بعد الأسرى الذين لايقوون على الصراخ والكلام.

«وهو يأمل من رسول الله (ص) أن يزرع نور الإيمان، والهدى والتقوى في دمه، ليصبح هذا الدّم مداداً للعطر والعطاء. ويبدأ البيت الثالث بفعل الأمر (مُدّني) الموحي بالحاجة إلى المساعدة، وإلامَ يحتاج الشاعر؟ إنّ الجار والمجرور (بالحياة) يشكّلان دلالة الحاجة، فحياة الشاعر قبل ولادة الرّسول (مخنوقة الأصداء) وهي من أثر الولادة (حيّة) (تبدع) ميلاد النبي(ص) والفعل المضارع يوحي بخلق ما لم يكن موجوداً فالابداع لله تعالى. وماذا تبدع الحياة الّتي أمدّ الرّسول الشاعر بها؟ يأتي الحال (فجراً) وهو دلالة النور بعد الظلام، والحرية بعد الاستبعاد والقيد، والحياة بعد الموت، والأمل بعد اليأس» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢١٩). ولهذا إنّ النبي رمز الحرية الّذي لا بدّ أن يبقى هادياً للزمن.

سعى الشاعر لأن يوضح صورة العدوّ الداعي إلى الجهل، والبغي والضلال مقابل النور المتمثّل بنهج الرّسول، وتحرير الإسلام للنداءات المخنوقة الأصداء وذلك بالمقارنة بين واقع العدوّ ونداء الرسالة، يقول:

وعلى مَفرقِ الطّريقِ ... عَوَى البغيُ ... بأعراق أمّةٍ عمياءِ
يستثيرُ الظّلامَ والحِقْدَ ... والشَّرَّ .... ليطويَ بها لهيبَ النَّداءِ
غيرَ أنَّ النّداءَ ... مازال راعِداً ... ومازالَ صارخاً بالدُّعاءِ
أيّها الجاهلون ... عودوا إلى النّورِ ... فهذي طلائعُ الأضواءِ
حرِّروا رأيكم ... يحرِّرْكُم الإسلامُ ... مِن جاهليةٍ جوفاءِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٦٨).

يبدأ الشاعر أبياته بدلالة مكانية (وعلى مفرق الطريق) والمفرق يوحي بتقاطع الطريق، فإذا سارت الأمّة في غير طريق الرّسول والإسلام فيعوى البغي والظلم ويستثير الظلام ليخرج

الناس من النور إلى الظلمات، ولكن السؤال هنا هو ومن المحرِّر؟ «إنّه المسلم الأعظم، رسول الله الّذي يبدّد الظلام، فإذا ما (عوى البغي) تحرّك الشيطان ليخوّفَ أولياء الله والناس، ولقود الركب إلى الظلم والقهر والاستبداد فـ(البغي) ليس بغياً عادياً، إنّه بغي الكفر مقابل الإيمان الّذي جاء به الرّسول، وإذا ما كان البغي (يستثير الظلام) ليخرج الناس من النور إلى الظلمات، وليملأ قلوبهم بالأحقاد والشرور، ساعياً إلى خنقِ النداء الإلهي، وإطفاء جذوته» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٢٢)، فإنّ نداء الرسالة (مازال راعداً) (صارخاً بالدعاء) «يريدون أن يطفئوا نور اللّه بأفواههم ويأبى اللّه إلّا أن يتمّ نوره ولوكره الكافرون» (التوبة: ٣٢) فظلام الكفر يقابله نور الإيمان ويبقى نداء الداعي الرسالي (عور إلى النور) «قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا» (الحديد: ١٣) «واتّبعوا النّور الّذي أنزل معه» (الأعراف: ١٥٧) والتماس النور وتحقيقه سبيل إلى الحرية الفكرية العقلية (حرِّروا) وصولاً إلى العدالة والحق (يحرّركم الإسلام) ممثلاً برسوله، وممَّ يحرّرهم؟ (من الجاهلية جوفاء) تمثلها سلطة المستعمر والبغي.

٢,٦,٧ أخوة الأنبياء

تحدّث الشاعر في أشعاره عن ميلاد الأنبياء الذين أرسلهم الله بالبينات والبلاغ المبين، وإن كان الله تعالى لايفرق بين أحد من رسله، ورسوله والمؤمنون «آمن الرّسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلّ آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا» (البقرة: ٢٨٥) فعلى أتباع الرسل الهداة، أن يعيشوا في واقعهم هذه الروحية العظيمة، ولاسيّما السائرين على درب المسيح والهادي البشير «وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقا لما بين يديّ من التّوراة ومبشّرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» (الصف: ٦) وهو ما أراده الشاعر في واقع حياته، حيث يقول:

ما بينَ ميلادِ المسيحِ وهجرةِ الهادي البشيرِ
عِشْنا الحياةَ نمارسُ الأديانَ في الخوفِ الكبيرِ
وكأنّما عيسَى وأحمدُ يلهوان على المصيرِ
الدِّينُ حقٌّ والحياةُ تعيشُ فيه مع النُّسورِ

ويظلُّ إسلامُ الخُطى للهِ قاعدةَ الأمورِ
ويعيشُ أحمدُ في هُدى عيسى كَبُشرى للدُّهورِ
ويفيضُ بالإنجيلِ و*القرآنِ* ينبوعُ الصُّدورِ (فضل الله، ٢٠٠١: ٣٣٧).

إنّ الإختلافات الّتي يعيشها الناس، تركت في نفس الشاعر وروحه الأسى والحزن، فلماذا الخوف في ممارسة شعائر الدين؟ «لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ» (البقرة: ٢٥٦) ولماذا الافتراء على الأنبياء وهم أخوة ودينهم واحدٌ؟ «سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنّتنا تحويلا» (الإسراء: ٧٧)، فالدين حقّ وصراط الله المستقيم.

ما بين ميلاد المسيح وهجرة الرّسول الأعظم كيف عاش أتباع المسيح والرّسول الأعظم؟ الشاعر يجيب: عشنا الحياة نمارس الأديان في الخوف الكبير، أي عشنا في مناخ الرعب والخشية من تنازع أتباع الأنبياء وقتالهم وحروبهم، ويتناول الشاعر في البيت الثالث صورة (عيسى) و(أحمد) الأخوين في دين الله.

الدين حقّ «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ» (الفتح: ٢٨) فإذا ما انطلق الخائفون المرجفون مع الدين لم يعودوا ضعفاء وصاروا نسوراً تهيمن على الفضاء وتشمخ فيه. وإذا ما كان الإسلام دين الله فإنّ (إسلام الخطى) يوحي بأخوّة المقتدين بالأنبياء ووحدانية مصيرهم والدعوة إلى الكلمة السواء «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا اللّه» (آل عمران: ٦٤). وفي القلوب بهدى عيسى وأحمد تَفَجُّرٌ لينابيع الأخوّة والمحبة والسماح بوحي *الإنجيل والقرآن*، ومثَلُ محمّدٍ والسائرين على نهجه «ذلك مثلهم في التّوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» (الفتح: ٢٩).

لقد قرأ الشاعر السيرة في *القرآن الكريم*، وفهمها إجابة لحاجات عصره وواقعه وتحدياته، على مستوى التشريع وعلى مستوى الدعوة، لأنّ رسالة النبي (ص) لا عمر لها، وهو ما يؤكّده الشاعر: «إنّ الماضي عندما يكون رسالة الله فهو ليس ماضياً إنّما هو حقيقة، لأنّ هناك أشياء في التاريخ لا يمكن أن يلغيها التاريخ ولا يمكن أن يحاصرها التاريخ لأنّها لم تنطلق من

التاريخ وإنّما من عمق الحقيقة» (فضل الله، د.ت: ١/ ٣٩٣) فالحقيقة هي السيرة القرآنية الّتي لا لبس فيها، وهي الّتي لاتزال تتحرّك في شتّى مناحي الحياة وقضايا الكون، فالرّسول الّذي أرسل للناس كافةً، لابدّ وأن يعيش متطلبات هؤلاء الناس الذين يعيشون الرحمة والهناء والعدل في رحاب الرّسول.

فعلى هدى الرّسول ينساب رضا الشاعر، فيرتقي في آفاق الدنيا، نتيجة هذا الهدى، ملتقياً مع كلّ محبٍّ للنبيّ ومقتدٍ بالأنبياء:

يا رسولَ اللهِ حسبي أنّني عبرَ ذكراكَ أناجي الأنبياءَ
النبيّونَ هنا في الملتقَى في رسالاتك يحيَونَ الصَّفاءَ
وعلى هديكَ ينسابُ الرّضا في نجاوانا صباحاً ومساءَ
وهنا نحنُ على الدَّرْبِ الّتي عرَّفتَنا كيف تجتازُ السَّماءَ
نتملّاكَ كياناً للهُدَى ملأَ الدُّنيا إنطلاقاً وارتقاءَ (فضل الله، ٢٠٠١: ٣٦٤).

إنّ الشاعر يتّخذ من ذكرى الرّسول مناسبة لمناجاة الأنبياء كلّهم، ويؤكّد على مبدأ التولي والالتقاء مع كلّ النبيين، مؤمناً أنّهم يحيون صفاء دعوة النبي محمّد (ص). «وما الرّسول المكلّف بأمر السماء، ووحيها إلّا هادٍ لصراط الله، وهذه الدلالة تتخذها (الدرب) الّتي استلهمها الشاعر والأمة. ويأتي الفعل (نتملّاك) يخبر عن حالنا، فأنت رسول الله الرمز والأسوة. وماذا نتملّاك؟ (كياناً للهدى) إنّ الهدى لم يعد إحساساً بالإيمان، ووحياً من الله، فقد جسّده الشاعر وأعطاه حيزاً مكانياً فما هو؟ إنّ رسول الله (ص) صار (كياناً للهدى) فهو رسالة الله تتحرك على أرضه بإيحاءاته كلها. ولابدّ أن تشمل الرسالةُ الوجودَ، وهو ما يوحيه الفعل الماضي (ملأ) وفاعله الهدى، والامتلاء دلالة الفيض والشمول، وعدم النقصان، فالرّسول مبعوث للناس كلهم بشيراً ونذيراً» (مهدي، ٢٠٠٤: ٢٣٩). وإذا ما كان خاتم الأنبياء فإنّ هداه (ملأ الدنيا. وماذا (ملأها)؟ إنّ التمييز (إنطلاقاً) يبيّن غموض الفعل (ملأ) بما يوحيه من حرية وهداية و(ارتقاء) وهو دلالة السمو، والعلو والعظمة ومعرفة أسرار السّماء ودرب رسالات الأنبياء و صراط الله المستقيم.

٨. النتيجة

نستنتج من هذا المقال مايلي:

١. لقد استطاع السيّد الشاعر أن يبحر في يمّ الرّسول وأن يقدّم شخصية الرّسول شخصيةً توحي بكلّ مظاهر العظمة والإبداع، كما أرادها *القرآن الكريم*، الّذي لم يقف عند حدودٍ معينةٍ لهذه الشخصية الفريدة، بل أرادها أن تتحرك في شرايين الحياة لتنبض وحياً يستوحي الناس منه كيفية العيش والدعوة وأساليب ومناهج العلاقات الإنسانية والكونية؛

٢. الشاعر يقول على الأمة والأجيال اللاحقة أن تتمثل بالرّسول الأعظم كقدوةٍ وأسوةٍ في الكمال الإنساني، والشاعر حاول من خلال شعره توجيه الجيل نحو الإعداد الروحي، مستلهماً حالة العلاقة مع الله تعالى ورسوله الأعظم؛

٣. أبيات الشاعر صدى للآيات القرآنية واستخدم الشاعر في أبياته من آيات *القرآن* الكريم مباشرة أو مفهوماً؛

٤. في موضوع أخوة الأنبياء تحدّث الشاعر عن الأنبياء الذين أرسلهم الله بالبينات والبلاغ المبين، وإن كان الله تعالى لا يفرق بين أحد من رسله، فعلى أتباع الرسل الهداة، أن يعيشوا في واقعهم هذه الحقيقة؛

٥. استخدم الشاعر في اشعاره التشبيهات والإستعارات ونرى فيها فصاحة وبلاغة جميلة، واستفاد من التوصيفات في بيان آرائه.

المصادر

القرآن الكريم.

ابو صالح، اسماعيل خليل (٢٠٠٣ م). *السيد محمد حسين فضل الله شاعراً*، بيروت: دار الملاك.

الأميني، محمد هادي (١٩٦٤ م). *معجم رجال الفكر و الأدب في النجف خلال ألف عام*، النجف: مطبعة الآداب.

الخاقاني، على (١٩٥٦ م). *شعراء الغري*، النجف: المطبعة الحيدرية.

سرور، علی حسن (١٩٩٢ م). *العلامة فضل الله و تحدي الممنوع*، بيروت: دار الملاك.

الشريف الرضي (د.ت). *نهج البلاغة*، تحقيق صبحي صالح، قم المقدسة: مؤسسة دار الهجرة.

طبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٢ ش). *مجمع البيان في تفسير القرآن*، تهران: ناصر خسرو.

فضل الله، محمد حسين (٢٠٠١ م). *قصائد للإسلام و الحياة*، بيروت: دار الملاك.

فضل الله، محمد حسين (١٩٨٢ م). *خطوات على طريق الإسلام*، بيروت: دار التعارف.

فضل الله، محمد حسين (١٩٩٠ م). *على شاطئ الوجدان*، لندن: دار الريس.

فضل الله، محمد حسين (٢٠٠٣ م). *مطارحات في الشعر و الفن و الأدب*، بيروت: دار الملاك.

فضل الله، محمد حسين (٢٠٠٠ م). *يا ظلال الإسلام*، بيروت: دار التعارف.

فضل الله، محمد حسين (د.ت). *الندوة*، بيروت: دار الملاك.

مهدى، علی رفعت (٢٠٠٤ م). *الاتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله*، بيروت: دار الملاك.